العدد 3483 - السنة الثانية عشرة
الأربعاء 3 صفر 1441 - الموافق 2 أكتوبر 2019
Wednesday 2 October 2019 - No.3483 - 12 th Year

الطفل «العنيد».. وكيفية التعامل معه؟!

إعداد : د. مهند عبدالمحسن العيدان
اختصاصي العلاج النفسي الإكلينيكي

- التوقف عن بذل الرحمة مخالف لصفة الوالدية التي تشكلت عليها أذهاننا وتركيبتنا النفسية والاجتماعية
- أحد مشكلات التربية الوالدية للأطفال هي الاستعجال في تحقيق النتائج التي نرجوها من الابن
- الطفل يبحث دائماً عن الشعور بالاستقلالية والتزود بمهارات الفردانية والبحث عن رأي مستقل يتميز به عن من حوله
- ربما يكون لطريقة تربية الآباء دور بارز في زيادة العناد عند الأبناء

- كلما كانت أساليب المعاملة الوالدية متزنة الأطراف ظهرت انعكاساتها على الابن إيجابياً
- من الأخطاء في أساليب المعاملة الوالدية تذبذب الرأي بين الوالدين فما هو مسموح عند أحدهما ممنوع لدى الآخر

- إن كنت أفتخر بكسري للقوانين الرسمية والمجتمعية والأخلاقية فلا أتوقع من ابني أن يحترمها
- العناد قد يكون مؤشراً للإبداع عندما يدفع الطفل لابتكار طريقة جديدة مختلفة للتعامل مع الأمور بعكس طريقة والديه

تعد تربية الطفل رحلة ممتدة تستغرق حياة الوالدين، وربما يخطط الوالدان لمستقبل ابنهما حتى بعد رحيلهما؛ فرحمة الوالدين لا يمكن فهمها إلا من خلال مشاهدة اثارها على الأبناء، ولذلك نجدنا نشعر بالانزعاج من أب يظلم ابنه او ابنته، ونشعر بالغضب تجاه أم تهمل طفلها وطفلتها، لأن التوقف عن بذل الرحمة مخالف لصفة الوالدية التي تشكلت عليها أذهاننا وتركيبتنا النفسية والاجتماعية.

ولذلك عندما نفكر في أحد مشكلات التربية الوالدية للأطفال فهي الاستعجال في تحقيق النتائج التي نرجوها من الابن، وبالتالي قد نمل ونسأم من متابعة غرس القيم والعادات والسلوكات التي نريد تحويلها إلى أسلوب حياة يعيش بها الابن داخل البيت وخارجه، سواء اليوم وانا موجود او غداً عندما يغادر الوالدين الحياة.

وبالرغم من استمتاع الوالدين بقدوم طفل جديد وانضمام عضو صغير للاسرة، وفرحهم ببداية مشيته واول كلمة قالها، وتخطيطهم لأول يوم في الحضانة والروضة والمدرسة، والتفكير بمستقبل عامر زاهر يتمنونه للابن إلا انهم في الوقت نفسه لا يريدون بذل مزيد من الوقت والجهد لتحقيق جميع هذه الأحلام، ويتوقعون من ابنهم أنه فهم الهدف الذي يريدونه منه وبالتالي سيتعاون معهم في تحقيق الهدف والتغلب على عقباته وصعوباته، وهنا تقع جميع اشكالات التربية التي يفقد فيها الوالدين السيطرة على رؤيتهم للهدف الذي يسعون لتحقيقه.

ومع اننا نستمتع بفكرة الطفل اللطيف المساير للطلبات الذي لا يسبب ازعاجا وإشكالات في تحقيق الطلبات البسيطة المتعلقة بالأكل في الوقت المحدد، وفي الطريقة الصحيحة، وبقوم بترتيب العابه في مكانها، وعدم العبث بما حوله، وعندما يكون الابن في المدرسة نتوقع انجازه للواجبات المدرسية بسلاسة، وحضوره المدرسي جيد ومتفاعل في قاعة الصف مع المعلمين وزملاؤه الطلاب! وجميع هذه التوقعات تعد خرافية لا يمكن توقعها من طفل يبحث عن الشعور بالاستقلالية والتزود بمهارات الفردانية والبحث عن رأي مستقل يتميز به عن من حوله، وسلطة أمارسها على حياتي؛ فانا أريد لبس ما أريد وأكل ما أحب وادرس بالكم والوقت الذي يعجبني واستغرق باللعب حتى أمل.. إنها السلطة التي يسعى لها الجميع ويبحثون عنها، هكذا يبدأ العناد عند الأطفال عندما لا يفهم الوالدان طبيعة العناد الطبيعية، وربما يكون لطريقتهم في التربية بوابة لزيادة العناد عند الأبناء.

تعريف العناد علمياً بانه العصيان وعدم الإذعان لمطالب الكبار والإصرار على تصرف ما، وربما يكون خطئا او غير مرغوب فيه، وللعناد ثلاثة اشكال: المقاومة السلبية: لا يهتم بالمطلوب منه، التحدي والعناد الظاهر: كأن يقول الطفل: "لم افعل ذلك"، والعناد الحاقد: وهو القيام بعكس ما يطلب منه.

أسلوب المعاملة الوالدية

تعد أساليب المعاملة الوالدية حجر الزاوية في خلق شخصية الطفل واتجاهاته في الحياة، وكلما كانت متزنة الأطراف كانت انعكاساتها على الابن إيجابيا وتجعل منه ابنا نستمتع بقضاء الوقت معه، ونفخر برؤيته انجازا لنا يمشي على الأرض، ونقصد بأساليب المعاملة الوالدية تلك الطريقة العامة في التعامل داخل الأسرة، فهل اسلوب الوالدين يتسم بالمرونة واللطف في التعامل أم نجده أسلوباً قاسياً صلباً لا تقبل فيه خطا الطفل ولا نقصانه عن الكمال الذي نريده، وكلما شعر الطفل بانه مطالب باعلى درجات الصواب وليس مقبولا منه الوقوع في الخطا زاد عنده القلق، وبدأ يتعود على صلابة الرأي وعدم المرونة، فالقانون هو القانون، وان الوقوع في خلل ما يعني عدم الكفاءة والسقوط من عيني الوالدين، وبالتالي سافقد مكانتي التي أحب أن تكون لي عند والدي، وفي المقابل هناك الطفل المدلل الذي لم يسمع كلمة (لا) في حياته، ويستجيب الوالدين لجميع طلباته ويقومون بمسايرته فرحا باول مولود أو تعويضا للطفل عن تجربة أحد الوالدين لطفولة قاسية صارمة فيظن انه بفعله نقيض ما عايشه الوالد سيحقق للطفل النجاح والسعادة! بينما النجاح في التوازن بين هذا وذاك، ومن الأخطاء في أساليب المعاملة الوالدية تذبذب الرأي بين الوالدين فما هو مسموح عند احدهما ممنوع لدى الآخر، فلا يدري الطفل هل اتبع طريقة الأب أم الأم، أم التزم طريقة الأب في حضور الأب وطريقة الأم في وجودها؟! أم هل أستقل فأخلق لي بيئة خاصة لا آخذ فيها إلا بالرأي الذي يحقق لي متعتي وراحتي؟! ومن أساليب المعاملة الوالدية المزاجية في الطلبات فما يراه الابن اليوم مسموحاً به ربما يكون في الغد من اكبر الممنوعات عليه ممارستها.

وحتى تحل هذه الإشكالات لا بد من التوازن في طريقة التعامل مع الابناء، والتركيز على الهدف الأساسي للتربية، وهو غرس القيم والمبادئ والسلوكات الإيجابية التي يحيا بها الطفل طيلة حياته، لا البحث العاجل واللحظي عن المتعة التي سيحققها بعد فترة اللعب او تاخير ساعات النوم او تركه يفعل ما يريد حتى لا يعلم انه مطالب بامر ما عليه القيام به.

الوالدين والموقف من السلطة

يُعد الوالدان نموذجاً يقتدي به الأبناء في طريقة التعامل مع الحياة، وبالتالي كما تكون انت امام أبنائك سيكونون هم، فلا تتوقع منهم المرونة وعدم العناد وأنت نموذجا للعناد أمامهم، قد تعرف بالعناد أمام والديك وإخوتك، وربما تبدو عنيداً في تعاملاتك معهم، وتخبرهم بان ما قلته لن يتغير وان ما أقوله صواب وغير قابل للنقاش والتنازل فيتعلم الابن هذه الطريقة في الحياة منك، وربما رأي فيك ذاك الشخص القوي الذي لا يغير رأيه ولا يحيد ولا يميل عن آرائه وقناعاته، وربما سمع منك أن من يتنازل إنسان ضعيف بينما القوي الذكي الذي يتمسك برأيه ويدافع عنه للابد.

وأحيانا يرافق الابن اباه إلى مقر عمله او الديوان الذي يلتقي به أصدقاءه فيرى طريقة الوالد في التعامل مع الآخرين، فقد ينتقد الأب دور كل من له سلطة، والقصد بالسلطة هنا أصحاب القرار بحسب المكان، ففي مقر العمل قد يكون مديري المباشر هو نموذج السلطة، وشرطي المرور هو السلطة في الشارع فيما يتعلق بقوانين قيادة السيارة والتعامل مع الطريق، وعندما اقف في طابور المخبز فإن السلطة تصبح للجموع الواقفة قبلي فإن كنت أفتخر بكسري للقوانين الرسمية والمجتمعية والأخلاقية فلا أتوقع من ابني ان يحترمها، بل سيقلد السلوك الذي أمارسه أمامه ويقتدي به، وسيذهب غداً للمدرسة فلا يحترم معلماً ولا مؤدباً ولا يرى داعياً للوقوف في طابور الصباح ولا تحية العلم وهكذا تنتقل العدوى وتنمو في حياته ويعممها في بقية تجاربه اليومية.

العناد والإبداع

قد يكون العناد مؤشراً للإبداع، بالرغم من أنه عادة ما يكون دليلاً على انخفاض معدل الذكاء العام(IQ) للطفل، لكننا أحياناً يفاجأنا الأطفال ان عنادهم قد نتج عنه ابتكار طريقة جديدة للتعامل مع الأمور، فقد نجد طالباً له طريقته الخاصة في تنظيمه جدول المذاكرة للدراسة تختلف عن طريقة الوالدين، أو الطريقة التي يعمل بها غالب الطلبة ويوصي بها غالب التربويين، وهنا يكون الحكم بالوصول للهدف الذي نسعى له، فعند الكلام عن الدراسة لا باس أن يقرر الطفل أن سيبدأ دراسته لاختبارات نهاية العام بقراءة فصل من كل مادة حتى لا يمل من كل الكتب، فإن رأي في اليوم الأول انه أتم المرور على جميع الكتب، وقرأ فصلا في اللغة العربية وآخر في الحساب وتمرن على تدريباته ثم انتقل لفصل في اللغة الانكليزية وحفظ الكلمات وتمرس في كتابتها ومعرفة قواعد اللغة ثم انتقل إلى الاجتماعيات وهكذا فلا ضير إن استمر على ما هو عليه، فالمهم الوصول للنجاح وليس السير على خطاي بالطريقة التي اعتدتها انا في طفولتي للوصول إلى النجاح!

طرق علاجية للتعامل مع العناد

يمكننا بناء أسلوب تفكير لدى الطفل للتعامل مع مشكلة العناد، فيمكننا البدء بطريقة بسيطة جدا للتفكير في المكاسب والخسائر عند الالتزام أو العناد، فيبدأ الابن بتحديد جدول فيه كل ما سيخسره إن عاند أوامر والديه أو قوانين مدرسته، وفي العامود الآخر للجدول يبدأ بجمع كل الأمور التي سيستمتع بها إن قام بما طلب منه، وبعد ذلك يترك الطفل للتفكير والاختيار.

ومن الطرق العلاجية البسيطة التي يتعلمها الطفل بسهولة استراتيجية تبادل الأدوار في المواقف المشابهة، فمن الممكن إجراء الحوار العقلاني البسيط التالي: يسأل الأب او الأم الطفل: عندما طلبت منك أن تعطيني ماءً ورفضت ذلك الطلب، هل تعتقد انك لو طلبت مني أمراً ورفضت انا طلبك؛ فهل سيرضيك تصرفي حينها؟ ويتم الاستمرار بتلك النماذج في جلسة واحدة يناقش فيها فكرة أن العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة علاقة تعاونية تشاركية تخدم بعضاً كل حسب قدرته وموضعه في المسئولية.

وكذلك يمكننا تغيير عادة العناد عند الطفل في تحديد مسارات للتعزيز الإيجابي وذلك بمكافأة السلوك الجيد الذي يقوم به، ونقصد بالمكافأة جميع الأمور التي يستحسنها الإنسان في طبيعته بدأ من الإبتسامة وملاطفته بكلمة إعجاب إلى كلمة فخر به امام الآخرين ثم مسحة على الرأس أو تربيتة على الكتف وهكذا حتى يختار نوع القيلم الذي سيشاهده نهاية الأسبوع أو زيادة مدة اللعب لانجازه المهمة في وقتها وهكذا.

وفي المقابل يوجد استراتيجية في غاية الأهمية تسمى التعزيز السلبي، تهدف للتخلص من السلوك العنادي غير المرغوب وذلك بسحب بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها الطفل، فمثلا عندما كان يسمح له اللعب لمدة ساعة تختصر لمدة ربع ساعة فقط، وبالتالي يشعر الطفل ويدرك عقلا نتائج فعله واختياراته.

وأختم كلامي بان التربية رحلة طويلة تحتاج لصبر ونفس طويل، فهي رحلة عمر مستمرة، لا نتوقع أن يتغير الابن خلال دقائق أو أيام، ما زال طفلا يتغير تكوين دماغه يوميا وتنشط بعض الغدد وتخبو أخرى ويزداد حجم بعض العضلات وتتمدد العظام وكل هذه التغييرات الفسيولوجية تربك الطفل وقراراته وكذلك المهام المطلوبة منه باختلاف موضعه، فطفل الابتدائي يعلم بان وضعه اليوم مختلف عن مرحلة الروضة وسيختلف عن مرحلة المتوسط، وحتى في السياق الاجتماعي نجد طفل الابتدائي يلعب مع البنات من أسرته، بينما إن وصل لعمر ما يختار هو بمفرده الابتعاد عن البنات واللعب مع الذكور، وهذا وإن بدا نمطاً اجتماعياً إلا اننا نراه في أغلب المجتمعات حتى تلك التي يستمر فيها التعليم مختلطاً، وهنا نتكلم عن مستوى التغيرات التي تطلب من الطفل والمراهق، وحتى تستقر حياته نحتاج للصبر والاستمرار في التربية والتعليم.

تأثير الإعلام على عناد الأطفال

يؤسفني ان اقول بان شخصية البطل في كثير من أفلام الكرتون تقدم بذلك الطفل المشاكس الذي لا يعبأ باحد، القادر على جمع الحشود من الأصدقاء سواء كانوا راغبين بمشاركته أم خائفين من معارضته، يظهر شعور متطاير، ربما بليس قميصاً وقد رفع كمية بطريقة مستهترة، أو ربما كان يدخن سيجارة أو يمسك مدية (سكينة صغيرة) في يده، ويضع عوداً صغيراً بين اسنانه.. هذه النماذج ترغم الطفل على التفاعل معها ومحاولة التشبه به، فشخصية القوي شخصية جاذبة يسعى الجميع للتوحد معها ويتمنى أن يكون مكانه وأن يمتلك شخصية مشابهة لشخصية البطل.

وكما أن النموذج السيء قد يغرس من خلال الإعلام فيمكننا تعديل مشكلة العناد عند طفلي بقراءة قصة تناسب عمره وإدراكه فيها النموذج الجيد للأشخاص الملتزمين باصول وآداب الأفعال والأخلاق، وربما يدخل الإتكيت نموذجاً لبيان الالتزام ببعض المعايير السلوكية، وهو فعل يمارسه عادة قادة الدول والدبلوماسيين وهم كذلك نموذج للقوة يحب الطفل الاقتداء به.

الصندوق الأسود..

في هذه الزاوية نستقبل استشارات القراء ونرد عليها في الأسبوع الذي يليه، مع مراعاة أن تبقى جميع المعلومات في حدود السرية احتراما لخصوصية القراء، يمكنك ارسالها على بريد الكتروني: binedan@live.com

ويجيب عليها د. مهند العيدان اختصاصي العلاج النفسي الإكلينيكي او احد زملاؤه، وسيذكر اسم المستشار الذي اجاب السؤال.